

الفرق بين الإرهاب والمقاومة المسلحة المشروعة

ورقة مقدمة لملتقى (اقرأ الفقه)

المنعقد بشرم الشيخ . جمهورية مصر العربية

١٦.١٧ رجب ١٤٢٦ الموافق ٢١.٢٢ أغسطس ٢٠٠٥

إعداد: د. عبد الحي يوسف

رئيس قسم الثقافة الإسلامية

جامعة الخرطوم . السودان

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: مقدمات ممهّدة

إن الحرب الإعلامية التي يقودها أهل الباطل ضد الحق وأهله قديمة قدم الحق والباطل، وقد قرأنا في القرآن قول فرعون عن موسى عليه السلام ﴿ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ والواجب علينا إزاء هذه الحرب الإعلامية التي يشنها اليهود والصليبيون على الإسلام وأهله في هذا الزمان أن نلزم الحذر فلا نردد ما يزخرفون من قيم ومفاهيم ومصطلحات؛ لأننا لو اكتفينا بأن نكون ناقلين عنهم لترتب على ذلك النقل مصيبتان:

أولهما: تثبيت مفاهيم دخيلة

ثانيهما: خلخلة مفاهيم أصيلة

إن الواجب على العلماء والدعاة أن يعمدوا إلى المصطلحات الشرعية الأصيلة النابعة من القرآن والسنة فيستعملونها ويشيعونها بين الناس حتى تعود دارجة بينهم سهلة على ألسنتهم، ومن أمثلة ذلك:

- تقسيم القرآن الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق، نجد بدلاً منه تقسيمهم إلى يميني ويساري ومتشدد ومعتدل ومستنير وأصولي إلى آخر تلك المنظومة الإعلامية التي سرت حتى إلى خطب المنابر وأحاديث الدعاة والعلماء
 - حديث القرآن عن القيم والمنجزات الحضارية والأعمال البشرية وفق معايير شرعية ومصطلحات إسلامية كالحق والباطل والعدل والظلم والخير والشر والمعروف والمنكر، نجد بدلاً منها مصطلحات هلامية كالرجعية والتقدمية والإيجابية والسلبية
- ومن ذلك مصطلح الإرهاب الذي غدا أكثرها شيوعاً وتناولاً في أحاديث الساسة وبرامج الإعلام ومقالات المفكرين، وأدمنت الجهات المعادية للمسلمين أن تطلقه على المقاومة المشروعة التي تقوم بها بعض الشعوب دفاعاً عن عزتها وكرامتها، وتعتمد الخلط والتبليس حتى

على بعض فئام من المسلمين!! تُرى ماذا يراد بهذا المصطلح؟ وهل الإرهاب والمقاومة لفظان مترادفان معناهما واحد؟ أم بينهما كما بين المشرق والمغرب؟

ثانياً: تعريف الإرهاب

ليس لهذه الكلمة تعريف جامع مانع يضبطها ويحدد المراد منها عند من شنوا الغارات وأحدثوا في الأرض الفساد بدعوى مكافحة الإرهاب، بل عبارات القوم في ذلك مختلفة ومعانيهم متباينة، ومن ذلك:

١- يعرف (جي فاوفيتش)، الإرهاب بأنه: (الأعمال التي من طبيعتها أن تثير لدى شخص ما الإحساس بالخوف من خطر ما بأي صورة) .

٢- أما (ليمكين) فيعرف الإرهاب بأنه: (يكمن في تخويف الناس بمساعدة أعمال العنف) .
٣- ويعرفه (جورج ليفاسير) بأنه: (الاستعمال العمدي والمنتظم لوسائل من طبيعتها إثارة الرعب بقصد تحقيق أهداف معينة) .

٤- أما المشروع الفرنسي المقدم عام ١٩٧٢م، للأمم المتحدة فيعرف الإرهاب بأنه : (عمل بربري شنيع)، في حين وصفته (فنزويلا) بأنه: (عمل يخالف الأخلاق الاجتماعية ويشكل اغتصاباً لكرامة الإنسان).

أما نحن المسلمين . فحين نرجع إلى كتاب ربنا ﷺ نجد أن الإرهاب المتعدي إلى الغير في نصوص القرآن يتعلق بأمرين اثنين:

أولهما: معاملة المؤمنين لأعداء الله من الكفار والمنافقين، أمراً كما في قوله سبحانه ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: أي وأعدوا لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم كل ما تقدرتون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم. أ.هـ أو خيراً كما في قوله سبحانه ﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾ قال ابن كثير رحمه الله: أي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله. أ.هـ وقد عقد الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله في كتابه قواعد الأحكام فصلين في ذلك، الأول: في تخويف أهل الحرب وإرهابهم، والثاني: في الاستعداد لقتالهم بما يرهبهم.

ثانيهما: حمل الناس على أمر نهي الشرع عنه، ومن ذلك قوله ﷺ ﴿فلما ألقوا سحرنا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ قال الشوكاني رحمه الله: أي أدخلوا الرهبة في قلوبهم. أ.هـ وقال أبو البقاء العكبري: واسترهبوهم أي طلبوا إرهابهم. أ.هـ

ويمكن من خلال حديث القرآن عن الإرهاب أن نستخلص أن الإرهاب المشروع هو كل فعل شرعي يبعث خوفاً يردع أعداء الله عن السبق بالاعتداء أو التمادي فيه. ويمكننا بعد ذلك أن نعرّف الإرهاب المذموم بأنه: كل فعل يراد منه ترويع الأمنين من المسلمين أو الكفار غير الحريين بإلقاء الرعب في قلوبهم وزرع الخوف في نفوسهم. وهذا النوع يسميه الشرع بغياً أو ظلماً أو عدواناً.

ثالثاً: الحرب الإعلامية الغربية التي يراد من ورائها إصاق التهمة بالمسلمين

لقد أثار الغربيون بوسائل شتى ذلك الموقف ضد الإسلام، وأعدوا الخطط ليجعلوا من الإسلاميين دعاة الإرهاب المذموم في العالم؛ حتى ترتبط صورة المسلم في أذهان الناس بمنظر العنف والدماء والأشلاء، وحتى يصير المسلم عند العامة رمز الخراب والدمار، والشواهد على ذلك كثيرة منها:

. ما حصل في تفجير مركز التجارة الدولية، ولا يزال يتذكر المتابعون لذلك الحدث الجلل أن المحامين بيّنوا أن وراء تلك الجريمة أيد خفية من ضمنها شخصية يهودية عُتِم عليها، ولم يعد لها ذكر، ويبدو أن ذلك يثير شبهات تواطؤ المخابرات الأمريكية باستعمال أيادٍ مشبوهة للشهادة ضد المتهمين.

. تفجير المبنى الفيدرالي في (أوكلاهوما)، حيث اتهم الإسلاميون بأنهم وراءه وذلك بعد حدوثه بساعات معدودة، ولم يكن قد صدر بعد أي بيان رسمي بالإدانة، وقد كانت ردود الأفعال العجلى الخالية من التعقل نتيجة طبيعية للحرب المجنونة ضد الإسلام وأهله ووصمهم كذباً وزوراً بالتطرف والإرهاب، وضربت على هذا الوتر فعاليات أمنية وإعلامية أمريكية، مما أدى إلى حرب قذرة ضد المسلمين في أمريكا، جعلتهم يعيشون أياماً قلقة حزينة نالوا فيها من المضايقة والإرهاب الكثير وبخاصة في المدارس والمراكز الإسلامية والتهديدات بالهواتف، الأمر الذي جعل الكثيرين يقعون في بيوتهم خوفاً من ردود الأفعال التي صنعها الإعلام المعادي.. ثم يأبى الله إلا أن تظهر الحقيقة بعد أيام معدودات، فإذا بالمجرم الحقيقي أصولي نصراني أمريكي، فجّر ذلك المبنى في ذكرى إحراق جماعة (ديفيد قورش) الأصولية المتطرفة، التي انتحرت مع زعيمها حرقاً حينما حاصره البوليس الفيدرالي في العام قبل الماضي، هذه

الجماعة وغيرها كثير: هي عينات من التطرف والإرهاب الموجود في الغرب، وهي محسوبة سياسياً على اليمين الأمريكي العنصري. والتي لها ميلشياتها العسكرية، والتي تعلن نازيتها وعنصريتها على رؤوس الأشهاد.

ونستفيد من ذلك كله درساً وهو ألا نعلم نحن المسلمين إلى ترديد ما يدعون والمشاركة إلى تبرئة الإسلام من تهمة الإرهاب والوقوف دائماً موقف المتهم المدافع عن نفسه الذي يعوزه الدليل، بل نقول لهم: «هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» ما الدليل المادي المحسوس الذي يحملكم على اتهام المسلمين؟ بأي حجة تسوقون التهم جزافاً مع أن الأمر لا يعدو كونه احتمالاً؟

رابعاً: أمثلة من الإرهاب الذي مارسه غير المسلمين في التاريخ القريب

إن الإرهاب أو ما يعرف بـ (التيوريزم) (Terrorism) بدأ مع الثورة الفرنسية ولم يتفجر تاريخياً في رحم العالم الإسلامي المسلم، بل إن المسلمين كانوا هم ضحايا الإرهاب خلال عقود طويلة وأحداث متتابة، وعواصم الإرهاب الفظيعة خلال القرن المنصرم كانت هي: برلين النازية وروما الفاشية وموسكو الشيوعية وطوكيو المحورية، والمنصفون يعلمون يقيناً أن الغرب وغيره قد استعمل القوة والعنف بشكل منظم، وتصميم مندفع لمعاينة المدنيين، ومن أمثلة ذلك:

- إسقاط القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكي حيث قتل ١٩٠٠٠٠٠ ياباني جميعهم من المدنيين تقريباً
- ما فعلته جماعة (أوم) اليابانية، الذين ثبت تواطؤهم بإلقاء غاز السارين السام في أنفاق مترو طوكيو، وأدى إلى وفاة واختناق الكثيرين
- إرهاب الصرب في حربهم الضروس ضد مسلمي البوسنة
- إرهاب الشيخ والهندوس ضد مسلمي الهند وكشمير
- وتطرف وإرهاب أعداء المسلمين في كل من (طاجيكستان) و (الفلبين) و (الشيشان) و (بورما)
- التطرف الصهيوني في فلسطين المحتلة المدعوم من الغرب والشرق معاً

- قصف ملجأ العامرية في بغداد وهدمه على من فيه من المدنيين
- تدمير مصنع الشفا للأدوية بالسودان

خامساً: الفروق بين المقاومة المشروعة والإرهاب الممنوع

المقاومة المشروعة مراد بها ما يسميه فقهاؤنا جهاد الدفع، وهو ما يدفع به المسلمون عن دينهم وديارهم وأموالهم وذراريهم، ضد من بدأهم بالظلم والعدوان، من جنس ما يقوم به إخواننا في فلسطين والعراق وأفغانستان وكشمير والشيشان اليوم وما قام به المسلمون في الجزائر والسودان وغيرها من بلاد الله على أيام ما سمي بالاستعمار، وهو مشروع بالإجماع؛ لقوله تعالى { كتب عليكم القتال } وقوله تعالى { أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير } إلى غير ذلك من الآيات، ولفعله صلى الله عليه وسلم وأمره به، لكن بين هذا الجهاد المشروع والإرهاب الممنوع فروق معتبرة يراها كل من نَوَّرَ الله بصيرته، وهي:

من حيث الوسائل

① المقاومة المشروعة تحكمها مبادئ الإسلام في الجهاد في عدم قتل المدنيين وهم من لم ينصب نفسه للقتال، وكذا النساء والصبيان الذين لا يقاتلون ولا يعينون على القتال بنفس أو رأي؛ فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه { اتقوا الله في الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب } وقال الإمام أحمد رحمه الله: { من أطبق بابه على نفسه ولم يُقاتل؛ لم يُقتل } والإرهاب الممنوع لا يفرق بين محارب وذمي ومعاهد ولا بين شيخ كبير وامرأة عجوز وطفل صغير، بل ولا بين مؤمن وكافر، فسهامه طائشة وشره مستطير وضرره متعلِّد.

② المقاومة المشروعة تنزل على أقوال أهل العلم وتستنير بأرائهم وترجع إلى فتاواهم في كل نازلة، فهم المقدمون عندهم الموثوقون لديهم؛ عملاً بقوله تعالى { وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم }

وأهل الإرهاب الممنوع ليس للعلماء عندهم قيمة بل هم متهمون مجروحون أحلاس سلطة وطلاب دنيا

③ المقاومة المشروعة حانية على المسلمين عطوفة عليهم ساعية في سوق الخير لهم، والإرهاب الممنوع بعكس ذلك قلوب أهله على المسلمين قاسية وأيديهم بالأذى للمسلمين مبسوطة

④ المقاومة المشروعة وسائلها مشروعة تبحث عن حكم الله فيها قبل استعمالها، أما الإرهاب الممنوع فالغاية عند أهله تبرر الوسيلة، فلا يباليون إن كانت الوسيلة مشروعة أو ممنوعة، وهم في ذلك تبع لعصابات تبيح احتجاز النساء والأطفال بل وقتلهم أحياناً

⑤ المقاومة المشروعة تستعمل ميزان المصالح والمفاسد بمفهومه الشرعي، فتسعى في تحصيل المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، أما الإرهاب الممنوع فميزان المصالح والمفاسد مستعمل بمفهوم نفعي، وهو عندهم مختل لأن الوزانين في الغالب ليسوا من أهل الشرع

⑥ المقاومة الشرعية تستعمل الرخصة الشرعية في حدودها ولا تتجاوزها، والإرهاب الممنوع يجعل الرخصة هي الأصل ويستعملها بحاجة وغير حاجة

من حيث النتائج

① المقاومة المشروعة مصلحتها راجحة في إرهاب أعداء الله المعتدين وكسر شوكتهم وكف أذاهم عن المسلمين، مع تقوية قلوب المسلمين وزرع الأمل في نفوسهم، والإرهاب الممنوع مفسدته ظاهرة في تقوية أعداء الله على باطلهم في تشويه صورة المسلمين وتسليط أنواع الأذى عليهم وتغيير الناس من دينهم، وإشاعة قالة السوء عنهم

② المقاومة المشروعة فيها تحقيق معنى قوله تعالى {قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم} والإرهاب الممنوع ليس فيه شيء من ذلك بل فيه ما هو ضده من إدخال الحسرة على المسلمين بإذهاب ریحهم وتفريق كلمتهم وزرع الشكوك في قلوبهم بما يروجه أعداء الله عن دينهم

③ المقاومة المشروعة مصلحتها راجحة في استرداد كرامة المسلمين وحفظ دينهم وحماية حرمتهم والذود عن حياضهم وإخافة أعدائهم، ولا سبيل لذلك كله إلا بها، والإرهاب الممنوع مفسدته رابية في سؤق الأذى للمسلمين وتشويه صورتهم وإهدار كرامتهم والتضييق على الدعاة إلى الله منهم

④ المقاومة المشروعة فيها جمع لكلمة المسلمين وتوحيد لقلوبهم على قضية الجهاد وصد المعتدين، والإرهاب الممنوع يتحول معه المسلمون إلى شيع وأحزاب؛ بين راد ومردود عليه، ويزرع بين الناس فتناً وأحقاداً، وربما حمل بعضهم على أن يكرهوا كلمة الجهاد نفسها عياداً بالله تعالى.

⑤ في المقاومة المشروعة تحديد لما وهى من معالم الدين، وإحياء لسنة خير المرسلين في جهاد الكفار والمشركين ودفع أذاهم، وفي الإرهاب الممنوع إحداث في دين الله وإماتة للسنة وصرف لطاقات الناس في غير طائل

⑥ المقاومة المشروعة غايتها أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى بتمكين الدين وسياسة الدنيا به، والإرهاب الممنوع مآله . وإن لم يقصد أهله ذلك . الصد عن سبيل الله وتنفير الناس من الدخول فيه أو التعرف عليه.

⑦ في المقاومة المشروعة بيان لوجه الإسلام المشرق وهمة المسلمين العلية حين لا يرضون بالذل ولا يقرون بالضميم، بل يغضبون لحرمتهم أن تنتهك ولدين الله أن يهان، فهي خير دعاية لمشروع الإسلام الكبير، أما الإرهاب الممنوع فهو أسوأ دعاية للإسلام حين يصورون المسلمين وكأنهم جماعات ممن يقطعون الطريق ويخيفون السبيل، ولا حيلة لهم إلا بالاعتداء على الضعفاء والمسالين.